الامبريالية تحاول تحريك التسوية وجذب اطراف من الجبهة الشرقية الى ركبها

ليس جديدا على الامبريالية ان تبحث عن وسائل جديده لسياستها العدوانية في العالم ولوقف التعفن السياسي والاقتصادي ، الذي يهدد كيانها ، ولا تدخر الولايات المتحده جهدا ، في الغوص الى عمق التراث الاستعماري للتنقيب عن الحاول الأيلة الى رأب الصدع في بنيانها ، كي تتلاءم مع توجهاتها، في فرض تسوية امبريالية ، على المنطقة العربية برمتها .

وهكذا أقدمت الولايات المتحدة على رفع عصا التدخل العسكري ، من أجل احتلال منابع النفط . وكثفت التصريحات الملمحة ، بامكانية اجراء تعديل طفيف على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ أكثر من واردة . واندبت رسلا لبث سمومها ودعايتها عن قرب بطرح مبادرات جديده ، تحمل في طياتها تجديدا لاخراج التسوية من جمودها النسبي ، وتذليل العقبات التي اعترضت مسار اتفاقية كامب ديفيد ، عبر تحريك عجلاتها على أرضية تنازلات هامشية ، لا تؤثر في مكونات التسوية الاستعمارية ، ولا تهز مرتكزاتها المؤلفة لجوهر أهدافها ، انما تؤدي الى تقديم عروض مرنة ، تساهم في استدراج قوى جديدة ، وجذبها الى مستنقع التسوية الاستسلامية .

لقد أكد هودنغ كارتر ان لقاء ممثلي الحكومة الامريكية مع عناصر فلسطينية ، لم تكن على أساس انهم يمثلون منظمة التحرير ، حتى أتت الوقائع المستجدة لتشير الى اللقاء العلني بين ممثل امريكي رفيع المستوى من طراز أندرو يونغ ، وبين ممثل فلسطيني عن منظمة التحرير هو زهدي الطرزي ، مما جعل الكثير من المعلقين السياسيين ينبأون باقتراب مرحلة جديدة في مسلسل الحلول المقترحة للقضية الفلسطينية ، والتركيز على ان الولايات المتحدة اصبحت مدركة لضروره ايجاد حل عادل لمشكلة فلسطين ، والاشارة الى امكانية تجاوز اتفاقية كامب ديفيد ، نحو صيغة مؤتمر جنيف الشاملة لاطراف الحل السلمي ، وان الادارة الذاتية ليست سوى المر الانتقالي الذي لا بلغي الوصول الى تحقيق دولة فلسطينية ، حتى اننا لاحظنا الابواق الرجعية العربية ، تبادر وبهمة عالية الى اظهار ان نبأها في رفض كامب ديفيد دفع الامبريالية الامريكية للرضوخ الى الضغوط التي مارستها الانظمة الرجعية ، فارتفعت وتيرة التصريحات التي تحاول التدليل ان كارتر قد ساوى ما بين المشكلة الفلسطينية وحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة ، حيث تم تكذيب ونفي هذا التصريح من قبل الناطق بلسان البيت الابيض.

هذه الاصوات اخرستها مواقف الامبريالية ذات الاتجاه الواضح ، خاصة الموقف الامريكي الذي هدد باستعمال الفيتو في دورة مجلس الامن التي عقدت في ٢٣ اب الماضي ، ضد المشروع الكويتي ، الذي ينص على الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره .

ان أية اشارة الى امكانية تبدل الموقف الامريكي من كامب ديفيد ، قد أسقطها تصريح هودنغ كارتر الذي قال : ان الولايات المتحدة لن تجد صيغة ترضي كل الاطراف ، ولن تتخلى عن قراري ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وان القرارين ، حجر أساس في البناء الذي شاركنا في اقامته في الشرق الاوسط ، وسيكون من الخطأ ان نتخلى عنهما ، واضاف انه يمكن ببساطة ان يبقى هذا ، وان نبني فوقه بدلا من ان نسحبه ، كما ابقينا على القرارين ورفعنا عليهما اتفاقية كامب ديفيد . وقد عارض كارتر اكثر من مرة قيام دولة فلسطينية مستقلة ، مؤكدا ان معظم رؤساء الدول العربية الذين اجتمع بهم يشاطرونه هذا الرأي ، ومثبتا نهج التسوية في الاعتماد على اتفاقية كامب ديفيد، والحاقها بأطراف أخرى ، من أجل المحافظة وتوسيع هيمنة الامبريالية على مصالح وثروات الوطن العربي ، ودعم استمرار الكيان الصهيوني كأداة ضاربة أساسية ، بعد خروج ايران من دائرة السيطرة الامبريالية ، لمواجهة أية تفجرات شعبية تهدد وجودها وتدمر أنظمة التبعية .

أما الدور الاوروبي ، فان معالجته يجب أن تتلاءم مع فهمنا لطبيعة التوجهات التي تحكم علاقة الامبرياليات ببعضها ، على أساس قانون التنافس الذي أفرزته بنية الرأسمالية ، وزواله مرتبط بسقوطها ، وسوف يشهد خطا متصاعدا ومتعرجا كلما اشتدت حدة الازمات التي تنخر أحشاء النظام الرأسمالي العالمي ، وذلك من باب الصراع غير التناحري من أجل تدعيم وجود الامبريالية الاوروبية ، لمشاركة أوسع في نهب ثروات الوطن العربي . ان موقف الامبريالية الاوروبية يتأثر باستمرار ، بانحسار نفوذها في الدول التابعة (المستعمرات وأشباه المستعمرات) وفي حجم أزماتها المتفاقمة ، وفي حاجتها المتزايدة للنفط العربي الذي تسيطر على معظمه الولايات المتحدة ، مما يحدوها لاتخاذ مواقف متمايزة كميا عن جوهر الوجه الامبريالي ، وتقوم بتقديم بعض التنازلات غير الاؤذة على مضمون الحلول الامبريالية ، خاصة لجهة تأييد الكيان الصهيوني وتدعيم قدرته لضمان القود الحافظة لصالح الاستعمار المشترك . وقد جاء على لسان كارتر في هذا الخصوص ما مضمونه ، ان بعض الدول كفرنسا التي كانت تنظر في البداية الى التقارب المصري ـ الاسرائيلي بعين الشك ، تعتبر الان القوة العسكرية لهاتين الدولتين بمثابة عنصر أمن وأمان في المنطقة ، ويلتقي كارتر مع فرنسا في اعتبار هذه القوة العسكرية المشتركة، تكبح جماح الاعمال التي تقوم بها الدول العربية الراديكالية وتبعد خطر عمليات الغزو السوفياتي للمنطقة !

ان الامبريالية تتحرك على محورين مرتبطين بشكل جدلي :

المحور الاول

خط الضغوط السلمية ، عبر تقديم مشاريع تسوية تدور في فلك السيطرة الاستعمارية ، ولن تغيرها بشيء الاصوات المبحوحة التي ترتفع بأن هناك تسوية سوفياتية ، لان هذه المحاولات سوف تخدم مصلحة الامبريالية ، بالارتهان لسياسة المساومة أو التمحور حول مركز التسوية بشكل عام . ان خط الضغوط والاغراءات سوف يصب في سياق التحرك الامبريالي العام الذي أشير اليه المحور الثاني .

المحور الثاني

هو خط الاستعداد الدائم عسكريا من خلال التلويح بانشاء قوة للتدخل العسكري الامريكي ، تقوم باحتلال منابع النفط في الخليج والسعودية ، ودعم « اسرائيل » للمحافظة على تفوق ميزان قواها العسكري لاستمرارها في لعب دور الشرطي في المنطقة العربية ، ومساعدة الانظمة الرجعية عسكريا وفي مقدمتها مصر والسعودية والاردن .

ان السياسة الامبريالية عامة ، تعتمد على الانظمة الرجعية العربية ، كقوى محلية مرتبطة بها، وهذه الانظمة ذات تاريخ عريق معاد لاي عملية تغيير في سياق التحرر من الهيمنة الامبريالية ، وقد أضاف كارتر كشفا جديدا لخباياها ، حين أكد ان العديد من رؤساء الانظمة العربية يرفض اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، ذلك ان هذه الدولة سوف تتنافى مع التوجه الرجعي لترتيب أوضاع المنطقة العربية ، حتى تتماثل في البنية والتوجه السياسي اليميني ، والقضاء على حركة التحرر العربية وفي مقدمتها المقاومة .

ان الانظمة الرجعية العربية رغم تطلعاتها الملهفة الى الخروج سريعا من التعثر الذي يعرقل التسوية ، ونزوعها نحو ايجاد تسوية تمثل في مشروع المملكة العربية المتحدة المعدل ، من خلال اشراك بعض الاطراف الفلسطينية اليمينية ، وذلك بعد اجهاض المقاومة وشل فعاليتها ، وهي تتحرك في هذا الاتجاه خوفا من ظروفها المحلية غير المستقرة ومزاوضاع جماهير المنطقة العربية المتحركة نحو مزيد من التصعيد ، وعلى ضوء الازمات التي تعصف في العديد من أقطارها ، الى جانب تبلور تيارات متعارضة في السلطة ، تشهد عليها جملة الانقلابات والتصفيات ، والصراعات الدائرة في سدة الحكم ، وكذلك كونها تمتلك مصلحة في مشروع المملكة المتحده الذي تسقوده فئات طبقية مربطة بها وتمثل امتدادا عضويا للرجعية العربية وهذا ما يجعل الاردن مرشحا لمرحلة قادمة في سياق كامب ديفيد ، وهو يسعى لدى منظمة التحرير الفلسطينية الى تشكيل وفد مشترك بقيادة الملك حسين ، الذي اخلفت فوته فتمسك به الامبريالية ، بعد النبذل الذي طرأ على وضعه ، عقب انجاز جريمة مجازر ايلول في الاردن والتي حصلت على ضوء معاناته من قوة المقاومة وسيطرتها في ذلك الحين .

ان توجهات الامبريالية الحاضرة ، هي الاهتمام في استخدام كل الوسائل الكفيلة بدفع الجبهة الشرقية ليكون مآلها الاشتراك في التسوية على أساس مقررات كامب ديفيد ، ويؤكد كارتر في هذا المجال ، انه اجتمع الى عدد من الزعماء العرب منذ تسلم منصبه سنة ١٩٧٧ ، وان « احدا منهم لم يعرب لي على حدة عن رغبته في أن تقوم دولة فلسطينية مستقلة » ، رغم ما ألزموا أنفسهم به في مؤتمر الرباط ، فالدعوات العلنية لا تعني ، الا أن ظروفا خاصة تمر فيها هذه الانظمة أجبرتها الى حين على رفع شعار الدولة الفلسطينية المستقلة ، وهذا ما كان يجاهر به السادات الذي وصل أخيرا ، الى رفض اجراء تعديل ولو طفيف على قرار مجلس الامن أو التخلي عن كامب ديفيد ، وقد ساوى مؤخرا بين العمليات الاسرائيلية والفلسطينية على جنوب لبنان ليتلاءم مع تصريحات ممثلي الشرعية في لبنان .

ان المقاومة الفلسطينية تمثل الحلقة المرفوضة من كل أطراف التسوية ، لعدم تماثل بنيتها الطبقية ، مع تركيبة الانظمة البرجوازية العربية أولا ولشعاراتها السياسية الوطنية المتعارضة مع سياسة الهيمنة الامبريالية ثانيا ، ولنهجها العسكري الذي ينزل الضربات في مصالح وأهداف القوى المضادة للثورة ثالثا . وهي لن توافق مع الاردن، أن تكون تابعة لحل تذوب فيه ، وتخضع لارادة الاردن ، ولسيطرة « اسرائيل » العسكرية ، ونحن نرى الانتفاضات الجماهيرية الرائعة ، تتصاعد من قرى ومدن الضفة والقطاع ، لتعطينا الدروس الكفاحية في مواجهة أعتى آلة دمار عسكرية . ان التراث النضالي لجماهيرنا الفلسطينية الخاضعة للاحتلال ، يمثل عظمة الرد الفاعل الذي يمنع قتل القضية التي تقودها المقاومة ، لتؤكد على أن خيانة طبقة ما ، لمسالة سياسية مركزية لا يعني انها انتهت ، وخيانة الرأسمالية العربية لقضية الشرق الاوسط ومحورها مشكلة فلسطين ، لن تموت القضية لانها مرتبطة بالمرتكزات الوطنية لوجود شعب ، ووجود قضية عادلة في ظل ظروف سياسية واقتصادية وعسكرية مندهورة ، وفي ظل صراع شعبي ينذر بنسف كل العفن الاستعماري .

التسوية الى أين ؟ والمخرج الثوري

ان التسوية الامبريالية هي الحل الاوحد الذي تقوده الولايات المتحدة . فالمتتبع لتطورات الاحداث في سياق الصراع الدائر على السيطرة العالمية ، يشهد تحولات متفاوتة في أقطار مختلفة ، فبينما نرى العديد من البلدان التابعة قد تحررت من السلط الامبريالي ، نرى بالمقابل تطورات جديدة دفعت بدول عديدة كان قد حصل فيها انجازات ذات طبيعة وطنية ديمقراطية ، لان ترتبط من جديد بوشائج التبعية للاقتصاد الامبريالي وبالتالي خدمة النهج الرجعي المتضافر على أساس ابقاء الهيمنة الرأسمالية على حساب الشعوب التواقة الى انتزاع حقها في التحرر والاشتراكية

ولما كانت المنطقة العربية من أهم المناطق التي تختزن الثروات الهائلة ، فقد شكلت الوطن الرئيسي لمصالح المعسكر الامبريالي وعلى مقوماتها يتوقف مستقبله القادم . ان المنطقة العربية قادمة على تفجرات جديدة ، وسوف تدخل في دائرة المناطق الملتهبة ، لان التسوية المدرجة ، لن تخلق الانفراجات في الوضع ، بل سوف يكون مسارها مأزوما يتخلله صراعات عسكرية ستأخذ طابعا موسعا متصاعدا .

ان المخرج الثوري والوحيد لقوى الثورة العربية يجب أن يجسد الحقائق التالية :

١ ـ الالتزام الجدي والاكيد بالشعار السياسي الجذري المتمثل برفض التسوية الاستسلامية ، ومغادرة مواقع المساومة والتردد والارتهان لعلاقات مؤثرة على تطور مسيرة الثورة ، لان الشعار الواضح سوف يساهم في تركيز قوى الثورة ويمنع بعثرتها وشرذمتها ، وسوف يدفع الجماهير للخروج من حالة اليأس وتمتين لحمة ارتباطها بالثورة على شعار محدد لا تكتنفه غيوم الميوعة والفوضى .

٢ ـ الالتزام بالنهج الثوري الذي يمثل عمليا دفعا متواصلا لقوى الثورة وبعطل مفاصل المساومة والتراجع ، ليصبح نهجا دافعا لتوفير امكانيات تطور الثورة نحو النصر .

٣ ـ الخط العسكري الشعبي، لان الجماهير هي صاحبة المصلحة الاساسية بالتغيير التقدمي الجذري ، ان الخط العسكري الذي لا تلتف حوله الجماهير لتشكل وقوده في سبيل تحقيق أهداف الثورة في التحرر الوطني والقومي والطبقي ، سوف يموت ، ولن يبقى الا النهج الكفاحي الذي تمونه الجماهير بأعدادها وطاقاتها بشكل دائم ومستمر .

٤ ـ حل مشكلات الجماهير الاقتصادية ، سوف يدفع بالجماهير الى الالتفاف حول ثورتها ، واعتبار كل منطقة خاضعة لقوى الثورة هي نقطة ارتكاز لها في مواصلة المعركة . ان امكانية الانتقال من مرحلة الدفاع الاستراتيجي الى التوازن الاستراتيجي الى الهجوم الاستراتيجي ، مرهونة الى حد بعيد بمدى قدرة الثورة على حل المشكلات المعيشية والحياتية للجماهير .

٥ ـ العمل في الاقطار العربية لاقامة أوثق العلاقات ما بين المقاومة والحركات الوطنية في هذه الاقطار ، لان عملية تنشيط الجماهير وكسبها نضاليا لا تكون فقط على أساس شعار تحرير فلسطين ورفض الحلول السلمية ، بل كذلك على أساس المساهمة في النضال الطبقي ليشكل رافعة لتطور النضال الوطني العام الذي يستهدف ضرب الوجود الاستعماري واسقاط الانظمة الرأسمالية التابعة له .

٦ ـ بناء علاقة ديمقراطية مع الجماهير من خلال البناء التنظيمي الذي يمثلها في ايجاد مؤسسات ديمقراطية تشكل جسور عبور قوى الثورة الى قلب الجماهير العريضة .

٧ ـ رفع شعار الوحدة الوطنية على أساس برنامج سياسي واضح وبرنامج تنظيمي سليم ، لتأمين تطور حركة الثورة في المجرى العملي بشكل حر ، وعلى أساس الافادة دائما من الدروس التي تعززها التجربة ، لتعميق العلاقة وتأصيل التطور السليم للثورة ، بمعناها القائم على تمثيل مصالح القوى الطبقية المحركة للثورة العربية .

٨ ـ توطيد العلاقة بين الثورة والجماهير من خلال نهج مسلكية ثورية تعمل على حماية الجماهير وتلبية متطلباتها وعدم الاساءة اليها .

ان الموقف الثوري هو في الاستمرار بتجذير المواقف الوطنية لتصل الى مستوى الرد الثوري الحاسم على قوى الثورة المضادة .

ابو نضال

دخول الحلف من بـاب جديد